﴿* وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ٢١﴾ [ص: 21]

❁ مُناسَبَةُ الآيةِ لِما قبلَها:

في الآيةِ السّابقةِ ثناءٌ من اللّه تعالى على داوودَ ﷺ، وفي هذه الآية ذُكِرتْ قِصَّتُه هذه؛ ليُعلَمَ أنَّ مِثلَ قِصَّتِه لا يَقدَحُ في الثَّناءِ عليه، والتَّعظيمِ لِقَدْرِه، وإنْ تضَمَّنَت استِغفارَه رَبَّه[1]. وأيضًا: "لَمّا ذَكَر اللّهُ تعالى أنَّه آتَى نَبيَّه داوودَ ﷺ الفَصلَ في الخِطابِ بيْنَ النّاسِ - على قَولٍ في التَّفسيرِ -، وكان مَعروفًا بذلك مَقصودًا؛ ذكَرَ تعالى نبَأَ خَصمَينِ اختَصَما عِندَه في قَضيَّةٍ، جعَلَهما اللّهُ فِتنةً لداوودَ ﷺ، ومَوعِظةً لخَلَلٍ ارتكَبَه، فتابَ اللّهُ عليه، وغَفَر له"[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿نَبَؤُاْ﴾: أصْلُ (نَبَأ) يدُلُّ على الإتيانِ مِن مكانٍ إلى مكانٍ[3]. والنَّبأُ: خبرٌ ذو فائدةٍ عظيمةٍ، يحصُلُ به عِلْمٌ أوْ غَلَبَة ظَنّ، ولا يقالُ للخَبَر في الأصل (نَبَأٌ) حتّى يتضمّنَ هذه الأشياءَ الثّلاثة، وحَقُّ الخبرِ الّذي يقالُ فيه نَبَأٌ أنْ يَتعرَّى عن الكذب، كالتّواتر، وخبرِ اللّه تعالى، وخبرِ النّبيّ ﷺ[4]. ونَبَّأ وأنْبَأ: أخبرَ، ومنه اشْتُقَّ (النَّبيّ). وتَنَبَّأ فلانٌ: ادَّعى النُّبوَّة. والنَّبْأة الصَّوْتُ الخَفيُّ[5]. والمرادُ به في الآية: الخبرُ الصّادق المهمّ، الّذي وصلتْ مسامعُهُ للجميع.

2) ﴿ٱلۡخَصۡمِ﴾: مَصدَرُ (خَصَمَه)، والعَرَبُ إذا نعتَت بالمَصدَرِ أفردَتْه وذَكَّرَتْه، وعليه فالخَصمُ يُرادُ به الجَماعةُ والواحِدُ والاثنانِ، ويجوزُ جَمْعُه وتثنيتُه؛ لِتَناسي أصلِه الَّذي هو المصدَرُ، وتنزيلِه مَنزِلةَ الوصفِ[6]. وأصْلُ (خصم) يدُلُّ على مُنازَعةٍ[7]. يُقال: خاصَمْتُهُ وخَصَمْتُهُ مُخاصَمَةً وخِصامًا. وأصْلُ المُخاصَمَة: أن يَتَعَلَّق كُلُّ واحد بِخَصْم

(1) أبو حَيّان، البحر المُحيط: 7/ 375.
(2) السَّعْدي، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 709.
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (نَبَأ).
(4) الرَّاغب، المفردات: (نَبَأ).
(5) الجَوْهَريّ، الصِّحاح: (نَبَأ).
(6) الشِّنقيطيّ، دَفْع إيهام الاضطراب عن آيات الكِتاب، ص: 199.
(7) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (خَصِمَ)، وابن الجَوْزيّ، تَذْكَرة الأريب، ص: 326.

الآخَرِ، أي: جانبِهِ. والجَمْع خُصوم وأخصام. والخَصيمُ: الكثير المُخاصَمة، قال تعالى: ﴿هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٤﴾ [النَّحل: 4]، والخَصِمُ: المُخْتَصّ بالخُصومة، قال تعالى ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝٥٨﴾ [الزُّخرف: 58][1]. والمرادُ به في الآية الخصمانِ اللّذانِ وقعَ بينهما تنازعٌ كبيرٌ، حتى اختَصما واحتاجا إلى التحاكُم فيما بينهما.

3) ﴿تَسَوَّرُواْ﴾: أي: صَعِدوا وتَسَلَّقوا، يُقالُ: تَسَوَّرتُ الحائطَ والسّورَ: إذا عَلَوْتَه[2]. وأصْلُ (سور) يدُلُّ على عُلوٍّ وارتِفاعٍ[3]، ويُساوِرُ إنسانًا إذا تَناوَلَ رأْسه. وفلانٌ ذو سَوْرَةٍ في الحَرْبِ، أي: ذو نَظَرٍ سَديدٍ. والسَّوّارُ مِنَ الكِلابِ: الَّذي يأْخذ بالرّأْس. والسَّوْرَةُ: الوَثْبَةُ. ويُقالُ: إنَّ لِغَضَبِهِ لسَوْرَةً. والسّورُ: حائطُ المَدينَةِ[4]. والمرادُ به في الآية: أنَّ هؤلاءِ المتخاصمينِ تسلَّقا المحرابَ، فكان دخولُهما غريبًا، حتّى تفاجأ بهما أمامَهُ.

4) ﴿ٱلْمِحْرَابَ﴾: هو مُقَدَّمُ كُلِّ مَجلِسٍ ومُصَلًّى وأشرَفُه، ويُطلقُ على المَسجدِ، وموضعِ العبادةِ، والغُرفةِ، والموضعِ العالي الشَّريفِ[5]. ومِحرابُ المسجد قيل: سُمّي بذلك؛ لأنَّه موضعُ مُحاربةِ الشَّيطان والهَوى، وقيل: سُمّي بذلك لِكَون حقّ الإنسان فيه أنْ يكونَ حريبًا من أشغال الدّنيا ومِن توزّعِ الخواطر، وقيل: الأصل فيه أنّ محرابَ البيت صدرُ المجلس، ثمَّ اتُّخِذتِ المساجد فسُمّي صدرُه به، وقيل: بل المحرابُ أصلُه في المسجد، وهو اسمٌ خُصّ به صَدْرُ المجلس، فَسُمّي صَدْرُ البَيْت مِحْرابًا؛ تشبيهًا بِمحراب المسجد[6].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يقولُ تعالى: وهلْ أتاك - أيّها الرَّسول - نَبَأُ المُتخاصِمَينِ حينَ تسَلَّقا على داوودَ مِحرابَه في مكانِ عبادتِه، حينَ دخَلوا عليه فجأةً ففَزِعَ منهم، قالوا له: لا تخَفْ، نحن خَصْمانِ ظَلَمَ أحدُنا الآخر؛ فاحكُمْ بَيْنَنا بالحُكم العادل الحَقِّ، ولا تَتجاوَزْه إلى غَيرِه فتَظْلِم، وأرشِدْنا بحُكمِك العادِلِ إلى طَريقِ الحَقِّ الواضِحِ البَعيد عن الهَوى والزَّيْغ.

(1) الرَّاغب، المفردات، والسَّمين الحَلَبيّ، عُمدَة الحُفَّاظ، وابن منظور، لسان العرب: (خَصَمَ).
(2) السِّجِسْتانيّ، غريب القرآن، ص: 455، والكَفَوِي، الكُلِّيّات، ص: 321.
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (سَوَرَ).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (سَوَرَ)، وابن الهائم، التِّبيان، ص: 89.
(5) الجَوْهَريّ، الصِّحاح، وابن فارس، مقاييس اللُّغة: (حَرِبَ).
(6) الرَّاغب، المفردات: (حَرِبَ).

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة الوصل في قوله: ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ﴾:

الواقعةُ الجزئيّةُ دليلُ الحُكمِ الرَّشيد والخِطاب السَّديد

الواو في قوله: ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ﴾ عاطفة، والجُمْلَةُ الفعليّة الاستفهاميّة مَعْطوفَةٌ عَلى الجُمْلَةِ الاسميّة ﴿إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ﴾، والعطف هُنا مِن باب عَطْف الجُمَل على الجُمَل؛ لبيانِ مثالٍ جزئيٍّ على حُكمه وفصلِ خطابِه، فقد أمرَ اللّهُ تعالى النّبيَّ ﷺ بذِكْرِ العبد الصّالح داوودَ عليه السلام، القويِّ بتسخير الجبال والطَّير، ومِنْحَةِ المُلكِ الشّديد، والوَحْيِ الحكيم والخطابِ الفصل، فهذا المعطوف مثالٌ على حُكْمه الرّشيد، وخطابِه الفاصل بينَ الصَّواب والخطأ.

دلالةُ عطفِ الإنشاء على الإخبار:

إضفاءُ التّفاعل بالتّغايرِ الشّكليِّ بين المتعاطفَين

الجُمْلَةُ الإنشائيّةُ في قوله: ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ﴾ مَعْطوفَةٌ عَلى الجُمْلَة الخبريّة في قوله: ﴿إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ﴾، وهذا العطف لا يجوز عند البيانيّين بخِلاف النّحويين؛ وإنّما ساغ ذلك لأنّ الجملةَ في الآية إنشائيّةٌ لَفْظًا؛ لكونها مصدَّرةً بأداة الاستفهام، خبريَّةٌ معنًى؛ لأنَّها قَصَّتْ شَأْنًا مِن شَأْنِ داوُدَ عليه السلام مَعَ رَبِّه تَعالى، فَهي نَظيرُ ما قَبْلَها، وهذا مُسَوِّغ عَطْفِ الخبر على الإنشاء[1]، ولعلَّ السِّرَّ في إحداثِ التّغايُرِ بينَ المتعاطِفَين على مُستوى الشّكلِ إظهارُ حُكْمِه العميقِ وخطابِه الفاصلِ بين الصَّواب والخطأ على هيئةِ المُستفهَم عنه؛ لإثارةِ التّعجُّب من ذلك الحُكْم والخطابِ الفاصل المُبين، كما يتولّدُ من التّغاير بينَ الأسلوبين نوعٌ من شدِّ الانتباه لما يُلقى من الكلام، ويُحقّقُ مَزيدًا من الإصغاء مَعَ إضفاءِ التّفاعُل مع الخطاب؛ لوجودِ السّؤال المحتاجِ للبيان والإفصاح.

الغَرضُ من الاستفهام:

معنى الاستفهام في قوله: ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ﴾ للتَّعجيبِ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 23/ 230.

الاسْتِفْهام تَهْيِئَةُ نَفْسِ المُخاطَبِ وإعْدادُها لِلتَّلَقّي

والتَّشويق إلى استماع ما بَعْدَه؛ لكونه أمرًا غريبًا، كما تقولُ لمخاطَبِكَ: هل تعلمُ ما وقعَ اليومَ؟ ثمَّ تذكرُ له ما وقَعَ[1]، فَكَأنَّ هَذا الاسْتِفْهامَ إنَّما هو تَهْيِئَةُ نَفْسِ المُخاطَبِ وإعْدادُها لِلتَّلَقّي[2]. وتفصيلُ هذا التَّعجيب أنَّه جَعلَ المخاطَب مُعْجَبًا بما أُلْقِيَ إليه، أوْ مُتعجِّبًا منه، أوْ عَدَّه أمرًا عجيبًا، هذا مع المُخاطَب الَّذي لايَعْرِف بالقِصَّة، ويُراد إعلامُه بها، فيُقال له: هل سَمِعتَ بِكذا[3].

أيضًا فإنَّ الاستفهام فيه إشارةٌ إلى أنَّه مِنَ الأنباءِ العَجيبة، الَّتي حَقُّها أنْ تَشيعَ ولا تَخفَى على أحَدٍ، وفي الاستِفهام معنَى التَّشويقِ إلى استِماعِه؛ وذلك أنَّ هذه القِصَّةَ إنْ كانتْ مَعلومةً للسّامِع، فيَكونُ في الاستِفهامِ بَعْثٌ له، وتَحريضٌ على إشاعَتِها، وإعلامِ النّاسِ بها، أي: كأنَّك ما عَلِمْتَها حيثُ تُخْفيها، ولا تُؤدّي حقَّها مِن الإذاعةِ، وإنْ لم تكُن معلومةً كان تأنيبًا على التَّقاعُدِ عن استِعلامِها، وتَشويقًا إلى استِماعِها[4].

سِرُّ التَّعبير بالماضي مادّةً وصيغةً:

تسويةُ حالِ الإتيانَين

أوثرَ التَّعبيرُ بـ ﴿أَتَىٰكَ﴾ دونَ (جاءك)؛ لأنَّه إعلام وإخبار مِن رَبِّ العالَمين، عالِم الغَيْب والشَّهادة؛ لذا فهو إتيانٌ سَهْلٌ يسير، كما أنَّ النّظم عبَّر عن منحةِ الحُكم والخطاب الفصلِ بالإتيان، فقال: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾، والمعطوف عليه مثالٌ من أمثلةِ حُكْمِه الرَّشيدِ، وقضائِه الحَقّ، فعَبّر عنه بالإتيانِ أيضًا، تسويةً بينَ الإتيانَين؛ الإتيانُ الذي هو مِنْحَةٌ من اللّه لداوود عليه السلام، والإتيانُ الذي هو منحةٌ من اللّه لمحمّد ﷺ بما جرى له؛ لتتحقَّقَ من خلال هذه التّسويةِ مقارنةُ حالِه ﷺ مع قومه، بحالِ داوود وما آل إليه أمرُهُ من

(1) القَنوجي، فَتْح البيان: 12/ 25.
(2) ابن عَطِيَّة، المُحَرّر الوَجيز: 4/ 432.
(3) الشِّهاب الخَفاجيّ، عِناية القاضي، حاشية على تفسير البيضاويّ: 7/ 304.
(4) أبو حَيَّان الأندلسيّ، البحر المحيط: 7/ 375، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 4/ 571.

مُلك رشيد وحُكم قويٍّ سديد، فيتحققُ مدلولُ قوله: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ﴾.

بلاغة المجاز العَقْليّ والعدول:

خَبَرٌ يَرِدُ على المَسامِع بِنَفْسِه دونَ أن يَنْقُلَه ناقل

ضميرُ الخِطابُ في قوله: ﴿أَتَىٰكَ﴾ يَجوز أن يكون للرَّسول ﷺ، وهو الرّاجح؛ لأنَّ المراد من الذِّكر والقَصِّ تحقيقُ الصّبر على الدَّعوة ومشاقِّها. ويجوز أنْ يَكونَ لِكُلِّ سامِعٍ يَتَأتَّى لَه الخِطاب، وفي قوله: ﴿أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ﴾ مجازٌ عقليٌّ، وذلك في إسناد الإتيان إلى النَّبَأ؛ إذ النَّبَأ يؤتَى به، ولا يَأْتي بنفسِه، وبلاغةُ المجازِ العَقْليّ وسِرُّه الإيذانُ بفخامةِ شَأنه، حتَّى لِكَأنَّه يَرِد على المَسامِع بِنَفْسه، دونَ أن يَنْقُلَه ناقلٌ[1]، وإنَّما عدلَ عن (الخبر والحديث) وما يرادفُهما إلى (النّبأ)؛ للدّلالة على أنَّه خبرٌ عظيم وعجيب، وكانَ الحُكْمُ فيه بليغًا وفَصْلًا مُبينًا واضحًا.

دلالة التّعريف في ﴿ٱلۡخَصۡمِ﴾:

تأشير النّزاع دونَ المتنازِعَين هو المغزى من القصّة

التَّعريفُ في كلمة: ﴿ٱلۡخَصۡمِ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ﴾ للعَهدِ الذِّهنيِّ، أي: فَردٍ غَيْرِ مُعَيَّنٍ مِن جِنسِه، أي: نَبأُ خَصمٍ غيرِ مُعَيَّنٍ هذا خَبَرُه، وفي هذا التّعريفِ القريبِ من معنى النّكرة تأشيرٌ على أنَّ المغزى من القصَّةِ تحديدُ محلِّ التّنازع والخصومةِ بينَ الطَّرفين، دونَ تحديدِ المُتنازِعَين بأسمائهما؛ إذ لا فائدةَ من ذكرِهما باسمِهما المعيَّن. ولهذا ورد التّعبير عن المتنازِعَين بلفظٍ يحتمل التّثنيَةَ الحقيقيّة والمجازيّة، إذ أُريدَ به هنا خَصْمانِ حقيقةً أو مجازًا؛ لقَولِه بعْدَه: ﴿خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٍ﴾، أي فردانِ أوْ فَوجانِ مُتَخاصِمانِ، لأنَّ الخَصْم في الأصلِ مصدرٌ يُرادُ به الجَماعةُ والواحِد والاثنان، ويجوزُ جَمْعُه وتثنيتُه؛ لِتَناسي

(1) عبد العظيم المَطْعني، التَّفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم: 3/ 399.

أصْلِه الَّذي هو المصدَرُ، وتنزيلِه مَنزِلةَ الوصفِ[1]، إذِ التّركيزُ على الخصومةِ والحدثِ الَّذي وقع التّخاصمُ فيه دونَ الإخبار بكونِهما فَرْدَين أوْ جماعتَين، فضلًا عن ذِكر أسمائِهما.

دلالة الاستعارة في لفظ ﴿ٱلْخَصْمِ﴾:

المبالغة في الخصومة والنّزاع

عبَّر النّظمُ الكريم عن المُتنازعين بلفظ ﴿ٱلْخَصْمِ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ﴾" على سبيل الاستعارة التّصريحيَّة؛ حيثُ شبَّههما بصورةِ الخصم، ثمَّ حذفَ المشبّهَ وأبقى المشبّهَ به؛ ليَدلَّ على شِدَّة المخاصَمة والنّزاعِ بين الفريقَين، فتَسْميَتُهُما بالخَصْم مَجازٌ بِعَلاقةِ الصّورَةِ، وهي مِن عَلاقةِ المُشابَهَةِ في الذّات، لا في صِفَةٍ مِن صِفاتِ الذّاتِ، وعادَةُ عُلَماءِ البَيانِ أنْ يُمَثِّلوها بِقَوْلِ القائِلِ إذا رَأى صورَةَ أسَدٍ: هَذا أسَدٌ"[2].

سرُّ التّعبير بضميرِ الجمع في ﴿تَسَوَّرُواْ﴾:

تَوَحُّد الخَصمان في إظهار الخُصومة

عبَّر النّظمُ الكريم بضمير الجمع في ﴿تَسَوَّرُواْ﴾ مع أنَّ مرجِعَه مفردٌ لفظًا مثنًّى معنًى للقرينة ﴿خَصْمَانِ﴾؛ سواءٌ كان مثنًّى حقيقيًّا أوْ مجازيًّا، فيصدُقُ بالجمع، والمَرجِعُ هو (خصم) في قوله تعالى: ﴿*وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ﴾، فلم يقل (تسوّر)؛ دَلالَةً عَلى أنَّهم عَلى كَلِمَةٍ واحِدَةٍ في إظْهارِ الخُصومَةِ؛ لا يَظْهَرُ لأحَدٍ مِنهم أنَّهُ مُتَوَسِّطٌ مَثَلًا؛ ونَحْوُ ذَلِكَ[3] ورشّحَ ضَميرُ الرَّفعِ المُتَّصِل (واو الجماعة) إرادةَ المُثَنّى المجازيّ، أي: إنَّ الخصمَين بمعنى الجماعة التي افترقَتْ فرقتَين، والمَعْنى: إذْ تَسَوَّرا المِحْرابَ، لأنَّ العَرَب يَعْدِلونَ عَنْ صيغَةِ التَّثْنِيَةِ إلى صيغَةِ الجَمْعِ إذا كانَتْ هُناكَ قَرينَةٌ؛ لِأنَّ في صيغَةِ التَّثْنِيَةِ ثِقَلًا لِنُدْرَةِ اسْتِعْمالِها، ومنه قولُه تَعالى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: 4] أيْ: قَلْباكُما[4].

(1) الشَّنقيطيّ، دَفْع إيهام الاضطراب عن آيات الكِتاب، ص: 199.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 23/ 231.
(3) البقاعيّ، نَظْم الدُّرَر: 16/ 356.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 23/ 231.

دلالةُ الفعل الماضي مادّةً وصيغةً:

شدّةُ الخصومة مانعةٌ من الاصطبار

عبَّر النّظمُ الكريم عن دخولِ القوم المتخاصمينَ إلى داوود ﷺ بالفعل الماضي المشتقِّ من الجامد، وهو لفظ (السّور) الفاصلِ بين دار الحُكم والقوم، فلم يدخلوا عليه من البابِ المُعدِّ لذلك، بلِ ارتقَوُا السّورَ ودخلوا إليه، حتّى تفاجأ بكيفيَّة دخولِهم وأصابَهُ الفَزَعُ، ويظهر أنَّ السّورَ عالٍ وصعبُ المُرتقى، فجاءتِ الصّيغةُ الصّرفيّةُ الدّالّةُ على مكابدةٍ في الصّعود تصويرًا لشِدَّة المخاصمة، ولمنعِ الحرّاس دخولَهم عليه من الباب، فلم يَستطيعوا الانتظار والاصطبار حتّى يَتفرَّغ لهم، ومِن ثَمَّ كانت صيغةُ الفعل المزيد دالّةً على مُكابدةٍ في الارتقاء والدّخول، وتصويرًا لشِدّة الخصومة حتّى لم يصبروا على عَرض خصومتِهم.

دلالةُ الظَّرف ﴿إِذْ﴾:

تحديدُ وقتِ الحَدَثِ ربطٌ للمخاطَبِ بالقصَّة

عبَّر النّظمُ القرآنيُّ بالظَّرف الزَّمانيِّ ﴿إِذْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾، وهو مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذوفٍ - إذا جُعِلَتْ ظَرْفًا لِلزَّمَنِ الماضي - دَلَّ عَلَيْهِ الخَصْمُ، والتَّقْديرُ: تَحاكَمَ الخَصْمُ في وقتِ تسوّروا. ويجوز اعتبار ﴿إِذْ﴾ اسْمًا لِلزَّمَنِ الماضي مُجَرَّدًا عَنِ الظَّرْفيَّةِ، فيُعرب بَدَلَ اشْتِمالٍ مِنَ الخَصْم، والتّقدير: وهل أتاك نبأُ وقتِ التّسوُّرِ؛ كما في قَوْلِهِ تَعالى ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [مريم: 16]، والظّرف هو مَناط التَّعجيب في هذه القِصَّة، حتّى صارَ ذِكْرُ الخَصْم تمهيدًا له؛ لأنَّ في التَّسَوُّر معنى الاقتحام، وهو يُنافي توقيرَ الأنبياء، ويزيدُ تهويلَ هذا الاقتحام الحالةُ التي كانَ عليها داوودُ مِن الاستغراق في العِبادة[1]، ويُشيرُ تحديدُ زمنِ تسوُّرِ المحرابِ إلى أنَّ داوود ﷺ جعَلَ له وقتًا يخلو فيه برَبِّه، وتَقَرُّ عَينُه بعبادته، وتُعينُه على الإخلاصِ في جميعِ

(1) عبد العظيم المَطْعني، التَّفسير البلاغيّ للاستفهام في القرآن الحكيم: 3/ 399.

أموره، فكان في هذا الوقتِ مُلازِمًا مِحرابَه لعبادةِ رَبِّه؛ ولهذا تسَوَّر الخَصمانِ عليه المحرابَ؛ لأنَّه كان إذا خلا في مِحرابِه لا يأتيه أحدٌ، ولم يجعَلْ كُلَّ وقتِه للنّاسِ[1].

بلاغة الكناية في ﴿تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ﴾:

التَّلَطُّفُ في رَدِّ الإنسانِ عن مَكروهٍ صَنَعه، وألّا يُؤخَذَ بالعُنفِ ما أمكَنَ

اشتملَ قولُه تعالى: ﴿إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ﴾ على مكانِ التّسوُّر، وهو المِحرابُ الذي يُعَدُّ أشْرَفَ ما في مَوْضِعِ العِبادَةِ؛ الَّذي كانَ داوُدُ عليه السلام به. وتسوُّرُ المحرابِ كِنايَةٌ عَنْ مدى التّنازُعِ العظيمِ والاختلافِ الكبيرِ، حتّى جاؤوه في يَوْمِ العِبادَةِ؛ ومِن غَيْرِ البابِ؛ فَخالَفوا عادَةَ النّاسِ في الأمْرَيْنِ؛ وكَأنَّ المِحْرابَ الَّذي تَسَوَّروهُ كانَ فيهِ بابٌ مِن داخِلِ بابٍ آخَرَ[2].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

النَّبَأ والخبر:

النّبأ إخبارٌ بحَدَثٍ عظيمٍ وشأنٍ خطيرٍ، بخلافِ الخبرِ

لِكُلٍّ مِن الكلمتين سياقٌ خاصّ، وألفاظٌ خاصَّة يتمُّ استعمالُ كُلٍّ منهما فيه، فكلمة (النَّبَأ) عندما يكون هناك خَبَرٌ لا يَعْرِفُه المُخْبَر، أمّا كلمة (الخبر) فتُستعملُ عندما تكون هناك احتماليّةٌ في معرفةِ المُخْبَر بالخَبَر مِن قبلُ، وإذا كان لا يَعْلَمُه فرُبَّما هو غيرُ متأكّدٍ منه، أوْ سمِع عنه مِن قَبْلُ، لذلك يقال: أخبرني عن نفسي، ولا يقالُ: نَبِّئْني عن نَفْسي؛ لأنَّ الشَّيءَ الّذي سيُخبره به هو يعرفُه بالفعل.

وتستعمل كلمةُ (النَّبَأ) في الحديث عن الأحوالِ الماضية وقصصِ الأنبياء التي تُعْتبر مجهولةً، ولم يَتِمَّ ذِكْرُها سِوى في القرآن الكريم، قال الله تعالى في كتابه الكريم ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٦﴾ [الشعراء: 6]، وذلك لأنَّه شيءٌ غيرُ معروف، والنَّبَأ له معنًى عظيم، فكُلُّ آيات القرآن الكريم تَدلُّ أنَّ النَّبأ هو أعظمُ وأهمُّ

(1) السَّعْديّ، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 710.
(2) البقاعيّ، نَظْم الدُّرَر: 16/ 356.

كثيراً من الخبر، وفي أخبار الماضين والرُّسُلِ استَعمل القرآنُ نبأ، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝٩﴾ [إبراهيم: 9]، والذي يتبيّنُ أنَّ النّبأ إخبارٌ بحَدَثٍ عظيم وشأنٍ خطير، بخلاف الخبر، فالعلاقة بينهما عمومٌ وخصوصٌ مطلق.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والأربعون،
سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 49 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-51-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 49 : المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-51-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1524626 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»